
نردين أبونبعة
وجاءته البشرى

وجاءته البشرى

نردين أبو نبعة

كتوبيا للنشر والتوزيع



﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ١٠﴾ [الأحزاب ١٠].

ما ظنُّك بربِّك في هذه الأوقات العصيبة؟

ماذا فعلَت بقلبك غزَّة؟

هل يرجف القلب ويتوجَّس؟

هل يعشعش الشكُّ وتشدُّ عليه المئزر؟

تعوَّذ بالله يا مَن تظنُّ بالله الظنون.

فهل يليق بوعد الله أن يُخلَف؟!

وهل يليق بربِّك أن يخذل جنده؟!

مَن قنط فليس منا، وليس منا مَن انحنى!

انظر إلى وجه غزَّة واسأل نفسك:

هل لسان قلبك يقول كما قال المنافقون في غزوة الأحزاب: «كان محمَّدٌ يَعِدُنا أن نأكل كُنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط!».

إذًا...

اتلُ ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ

﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ١٠﴾.

فهي تعرِّي قلبك. ردِّدها مليًّا، تُكْسَ!

انظر إلى ملامح غزَّة، إلى دمها القاني الذي غدا سنابل وقمحًا.

إلى أكفِّ صغارها، التي صارت مناجل.

هل استبدَّ بك الوجع وأقعدك؟

هل تناوشَتك الأقاويل؟

احترس...

أن تظنَّ أنَّ المقاومة ستُقهر.

تنبَّه...

أن تردِّد ما قاله المشركون: «إنَّ محمَّدًا وأصحابه أكَلةُ رأس»، أي لا يشبعهم رأس بعير، كنايةً عن قلَّة عددهم وعتادهم!

تذكَّر يا مَن تظنُّ بالله الظنون...

أنَّ قاموس النصر ليس سيفًا ورمحًا!

فبزوغ الفكرة نصر...

والدخول على العدوِّ نصر، ﴿ٱدۡخُلُوا۟ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ﴾...

وحسن الظنِّ بالله نصر...

والصبر نصر.

هذا ليس وقت التفكير بحسابات الجمع والطرح، والخسارة والربح.

فوعد الله آتٍ لا محالة.

فكِّر في نفسك، واحجز لك مكانًا بين هؤلاء الصفوة.

اجلُ قلبك وتهيَّأ، فلقد وفَّى أهلُ غزَّة ما عليهم.

وأمَّا مَن ذهب شهيدًا، فجنَّات الخلد به أولى.

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾

لمواجهة فائض الوجع...

قل: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾.

يا ربِّ اسكبه وصبَّه صبًّا، حتى ينبت من الوجع زهرا!

فكلُّ الذين قالوها... امتلأت جرارهم شهدًا...

وانطفأت نيران قلوبهم، ونبتت لهم أجنحة بعدما نُتِفَت!

قالتها صبية من غزَّة، تنعى زوجها وطفليها التوأمين:

«مش خسارة بربنّا».

وقالها بطلٍ حافٍي القدمين، خرج من حفرته المعتمة جائعًا عطشًا يترصَّد.

ذابت ملامحه، لكنه تراقص كفراشة مردِّدًا: «ولعت».

في مقامات الكُروب، ليكن مجدافك: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾...

فهي السلاح وقت النزال.

وعندما تعطش العروق، تهجَّأ: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾...

فإذا العروق الظمأى تغدو سنابل خُضرًا.

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾.

قال أهل العلم: «هذا دعاء أهل الإيمان لمواجهة الباطل».

افتتح بهذه الآية وجعك، فحيثما كان الصبر، صار القلب بردًا.

وشُدَّ على الجرح بابك، حينها يتجلَّى المخرج.

والصبر عبادة يُتجرَّع فيها المَرارات، وتتكسَّر الأضلع من غير شكوى، ودون سؤال عن المراد.

لذلك قال ربُّ العزَّة: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾

ذلك اختبارك، فاحذر أن تتيه وتجزع!

احذر أن تعمى عن الإجابة.

وردِّد: «رضيتُ بالله ربًّا».

اكتبها بحِبر التسليم.

فإنْ ثقُلَ البلاء واتَّسَع الجرح على التقطيب...

فتذكَّر...

أنَّ الألم والمشقَّة في البلاء تعني:

ألجِئ ظهرك إلى الجبَّار.

فُكَّ الكُرَب... بالتذلُّل والانكسار.

وأرْخِ سُدولك، حتى تَشِفَّ عن لطف الله.

وإيَّاك أن تتيه بين أعواد الثِّقاب، أيَّها تطفئ!

وتقضيَ ليلك هائمًا تفكِّر: أيُّ الحلول أجدى، وكيف أدبِّر؟!

ولْتعلم...

بأنَّ عمر البلاءِ يقصُر بالرضا ويقينِ الفرج.

أحسِن تهجئة البلاء.

واستخرج المعنى، ولْتقرأ المغزى.

وتيقَّن بأنَّ المراد... التربية، والتهيئة لأمور عِظام.

واحمِ فؤادك من الاعتراض على حكم الله.

فلربَّما رُمح... كان يدًا تُطبِّب.

ولربَّما ساءتك عصًا، فإذا هي التي تقود عَماك!

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾

لا يغرنك مال ولا ولد.

فمَن لاذ بهما... تاه في الغسق!

واتلُ قول ربِّك.

إنهما زينة!

والزينة مصيرها الزوال!

فلربَّما جعلت المال والبنين قِبلة قَلبِك، وظننت أنهما ربيعك القادم، فإذا بربيعك ماحِلٌ يابس!

ارفق بروحك.

وإيَّاك أن تقع في فخِّ الزينة والزخرفة.

إيَّاك أن تُفتَن بما لا وزن له، ولا ضرورة!

فقد أضاف الله هذه الزينة إلى الحياة الدنيا، فازدادت دناءة الزينة، لأنها مضافة إلى دنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة!

واهِمٌ... مَن حصر السعادة في مال وولد.

فكم من عقيم... أذاقه الله طعم الأبوَّة، وسخَّر له الحبَّ الخالص!

وكم ذو ولد... عاش في هَمٍّ ونحيب دائم!

فإيَّاك أن تخطب ودَّ مَن لا ودَّ له.

وإيَّاك أن تُعلي ما لا قامة له.

وإيَّاك أن تتيه عن معنى ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾.

فلا صواب سوى الباقيات الصالحات، وما عداها باطل!

فهي الحقيقة الباقية، وما عداها زيف وفتنة وخراب.

وقد وصف لنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مَن ملكَ الدنيا وتمَّت له، فقال: «مَن أصبح مُعافًى في بدنه، آمنًا في سِربه، عنده قُوت يومه، فكأنما حِيزَت له الدنيا بحذافيرها». ما زاد على ذلك فهو زينة، لا ضرورة!

أمَّا الضرورة فهي: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾.

فاختَر الضفَّة الباقية على البحر الهائج.

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾

أوَما زلت تسأل عن أسرار المعارك والانتصارات؟!

اقرأ قرآنك، حينها تكتب انتصارك.

وإيَّاك أن يشيخ قلبك فلا تجد إجاباتك!

فسيرة المعارك الممهورة بثلَّة مؤمنة، فيها ما يفوق الخيال من مكاره وغصص!

يرسم لنا الوحي صورة معركة قائدها ليس أيَّ قائد، إنه نبي!

وجيشه ليس أيَّ جيش، إنهم ربَّانيون، علماء وفقهاء. إنه جيش تربَّى على منهج الوحي!

ومع كلِّ ذلك حصلت النازلة، وتعاظم الألم!

فماذا كان موقفهم من النازلة؟

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾.

فالمؤمن يسيّج قلبه، يحميه من الوهن. والوهن
بداية الضعف، وأول ما يصيب القلب. فإنْ وهن
[redacted]



t.me/yasmeenbook

﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾

لم يقعدوا ويستسلموا، لأنهم يعرفون أنَّ الطريق صبار، والأقدام حافية، والجراح نازفة، لكنها طريق الجنَّة!

يعرفون أنَّ المعركة مدرسة تكثر فيها الاختبارات والانتكاسات.

لم يذكر الله لنا اسم النبي ولا قومه، وإنما ذكر المشترك بيننا وبينهم.

إنه الطريق والرسالة والبلاء!

أيُّها المقاتل...

اغتنم جرحك، اجعله قربةً لله.

أيُّها المقاتل...

إن باغتتك سقطة، لُذْ بإيمانك تنهض.

وإن شاب رأسُك، فإيَّاك أن يشيب قلبُك.

طُف بالصبر، فلا شيء يبلّل قلبك كالصبر!

احمِ إيمانك بين الأقواس، فهو نجاتك.

وارسم انتصارك بين عينيك، حينها سرعان ما تنهض.

واعلم أنَّ أهل الحقِّ إذا واجهوا عدوَّهم، نفضوا الغبار عن قلوبهم، وخافوا ذنوبهم.

وهذا وقتٌ نخاف أن يُؤتى أهلُ غزَّة من قِبَلنا.

﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

فالاستغفار قصيدة، الإجابة فيها شطر.

كَوِّر ذنوبك، وألقها في موضع سجودك تنجُ.

واعلم أنَّ أقدارك على قياسك.

وما ضاقت هنا إلَّا لتتَّسع هناك.

ولا تستبطئ النصر، فالخيزران لا يستطيل إلَّا بعد طول بَذْرٍ في التراب!

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (الكهف:٢٨).

لم يجعل الله نصرة هذا الدين على أيدي أصحاب الرّتب والمكانة والسيادة، الذين طلبوا من الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم أن يولِّي وجهه عن الضعفاء!

فالمعركة تحتاج إلى عُدَّة القلب وعتاده، بها نمتطي صهوة النصر.

أمَّا مَن كانت عُدَّته وعتاده في كفِّه، فأنَّى له النصر؟!

﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾

قل لِمَن خُدع في الناس...

قل لِمَن أضاع علامات النفاق:

لقد أعطاك الله في كلِّ منافق إشارة!

فلا تعضَّ إصبعك دهشةً حينما يلوح!

والْزم:

﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾.

ستعرفهم...

فلا أحد يشبههم!

ستعرفهم...

في إمالتهم للكلام، في نبرة صوتهم، في انحراف منطقهم، في التلميحات والاتِّهامات التي يكيلونها للمجاهدين...

في مخالبهم التي تنشب في الأجنحة الطائرة للنصر والتحرير...

في إطفاء مواقد النور.

﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾.

ستعرفهم من شفهاهم التي تحدَّث بلغة إبليس.

فيا ويح مَن جمَّل كلامه وألجم لسانه، وقلبه يغلي حقدًا!

فالله توعَّد أن يُظهِرَ ما كان في القلب يُخفيه!

فهذا مقسم عليه، محقَّق لا شرط فيه، كما قال ابن تيميَّة.

ستروا ما في قلوبهم دهرًا، وفضحتهم ألسنتهم بكلمة!

قال عثمان بن عفَّان رضي الله عنه: «ما أسرَّ أحدٌ سريرةً إلَّا أظهرَها اللهُ على صفَحات وجهه وفلَتات لسانه».

هذا زمانهم، فلا تعجب!

هذا زمان قيحهم وصديدهم.

هذا زمانهم.

إنهم يخرجون في النوائب والفتن، وعندما تلوح سيوف الغزاة على الرقاب!

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ

عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾

لا حزن اليوم...

على اليد الوحيدة التي تقاتل الكون كلَّه.

فالله اختارها واستخدمها ليعذِّب بها أعداءه.

فأيُّ شرف وأيُّ رفعة وهبها الله لتلك الأيدي؟!

قل لتلك الأيدي:

العيدُ أنتِ ما دمتِ بخير.

والحزن اليوم على مَن غُلَّتْ يده.

فانظر إلى يدك بأيِّ حبر تكتب...

بحبر دمها كهؤلاء...

أم تكسر محبرتها وقوافي قصائدها ليعلوَ النشاز!

«اللهمَّ إنك عفوٌّ تحبُّ العفو، فاعفُ عني».

حُقَّ لمن دعا بهذا الدعاء... أن تُملأ جِرارُه الفارغة بالمِنن...

وأن يبتلَّ ريقه بالعطايا المستحيلة!

حُقَّ لَمَن قال يا عفوّ...

أن تخضرَّ أمنيَّاته القاحلة.

«اللهمَّ إنك عفوّ».

يمحو الذنب، كما تمحو الريح آثار الأقدام، فلا تبقى في صحائف الأعمال، ولا في ذاكرة الناس!

يمحو الذنب، بلا لوم ولا مؤاخذة!

«اللهمَّ إنك عفوّ».

يعافي الأبدان من الأسقام والبلايا، فلا يعودُ لها أثر!

«اللهمَّ إنك عفوّ».

يعافيك من شقاء العداوات وطعنات الناس ومكايدهم، فيزيل عنك أذاهم!

ويزيل من قلبك ظمأ الانتقام منهم، فينشرح

صدرك!

قل «يا عفوّ»...

ليعافيك من صقيع الخيبات، فيمحو من وجهك أخاديد الوجع وتجاعيد الشقاء، ويمسح دمع عينك الذي أرهقك، فإذا وجهك مشرق كطفلٍ لِتوّهِ فُتح له باب!

سِر إلى الله بقلبك.

سِر إليه بعيوبك وتقصيرك وانكسارك...

فإذا غصنك المكسور يصبح سهمًا للرماة!

وكربك المشتعل يغدو غيمات!

سِر إليه متوسِّلًا، ذليلًا.

قل له يا ربّ...

ضاقت سواحلي بالذنوب...

يا عفوُّ اعفُ عني.

حينها تتَّسع ضفافك.

وتمثَّلْ قول ابن الجوزي: «العارفون يجتهدون في الأعمال، ثم لا يرَون لأنفسهم عملًا صالحًا، فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصِّر»!

قل «يا عفوّ»...

حينها يُرَدُّ قلبك الذي مُلئ بأشواك الذنوب، فإذا هو باقة ورد.

قل «يا عفوّ»...

فإذا الملح الأُجاج في فمك يُحلَّى...

وإذا حُلكة الأمنيات تصبح فجرًا...

وإذا خيبات عمرك المنفرط اجتمعَت عنبًا ويحلو المذاق.

قل «يا عفوُّ اعفُ عني»...

حينها يصير لك التنُّور بردًا.

قل:

«يا عفوُّ إنك تحبُّ العفو، فاعفُ عني».

قل:

وما يَضِيرُني لو عفَوتُ عمَّن آذاني وظلمني؟!

يا ربّ، إني عفَوت، فاعفُ عني.

العفو أحبُّ إليك ربِّي من العقوبة.

اعفُ...

ليُشفى قلبك.

قل:

«يا عفوّ»...

ليطرِّز لك الدعاءُ... بابًا للجِنان.

﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾

قد تكون بوصلة عينك تتّجه نحو حظوظ الآخرين دومًا!

تجمع ما تفرَّق من حظوظ قسمها الله بين العباد، تريدها مجموعةً فيك!

وربِّي هذا محال!

فيا ناظرًا إلى هذا وذاك...

إن عسعس السخط في قلبك...

وأشعلتَ روحك بالتحسُّر والتمنِّي...

ولوَّعتَ قلبك لقسمة الله في خلقه...

وصرتَ جمرةً لا تبرد...

بلِّل قلبك، وأحصِ نعم الله عليك.

لا تتَّهم الله في حكمه. لا تفتِّش في أقداره.

لا تقترح على ربِّك شكل النعمة ونِسبتها.

فالله وزَّع الأرزاق بحكمته وعدله. ولو تساوَت

الأرزاق لاختلَّ ميزان الحياة!

فحاشاه أن يُحابِيَ أحدًا، فليس له صاحبةٌ ولا ولد!

واذكر قول ابن القيِّم: «لو أنصف العبد ربَّه -وأنَّى له ذلك- لَعلِم أنَّ فضلَه عليه في ما منعه من الدنيا ولَذَّتها، أعظمُ من فضله عليه في ما آتاه من ذلك. فما منعَه إلَّا ليعطيَه، ولا ابتلاه إلَّا ليعافيَه».

وإيَّاك...

أن تكره نعمةً أنعمها الله على أخيك.

اغبِطه عليها، تأتِك راغمة!

اكْرَهْها، تتمنَّعْ وتأبَ المجيء!

فكم من صاحب نعمة... تمتَّع بها غيره!

وكم من محروم ولد... سخَّر الله له أولاد الآخرين!

وكم من غنيّ سخَّر الله أمواله لفقير!

وكم من فقير سخَّر الله قوَّته وعمله لغنيّ!

﴿لِيَتَّخِذَ بَعضُهُم بَعضًا سُخرِيًّا﴾.

اطمئنّ...

فقسمتك كاملة بلا نقصان!

●

ويَمّمِ قلبك صوب عدل ربِّك...

ففي كلِّ نعمة مقسومة ثَمَّ ميزان!

﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً﴾

إيَّاك أن يكون حظُّك من هذه الحرب المشاهدة والوَلوَلة!

إنهم يقصدون ذلك...

يقصدون أن يجعلوك عاجزًا، مستسلمًا، مقهورًا.

قم عن أريكتك...

أقفل هاتفك الذي يعرض صورًا أقلُّ ما يُقال عنها إبادة!

إنها تفوق الإبادة، وتسحق كرامة الإنسان وآدميته.

إنهم يذلُّونك عندما يذلُّون إخوانك.

يريدونك أن تيأس عندما تتذكَّر أنهم قطعوا يدك كي لا تمتدَّ إليهم.

والله يقول لك: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً﴾.

الله يقول لك: هذا وقت الإعداد.

مَن أراد النزال... تزنَّر بالسلاح.

ومَن أراد الثبات... اعتنى بِعُدَّة قلبه!

هذه الآية تضع نيتك تحت نظر الربّ، فاستعدَّ قبل فوات الأوان.

اغرس الصبر في قلبك بَذرةً، وإيَّاك أن تردِّده شعارًا.

اعتنِ بتجاعيد قلبك، رطِّبها بزيت الدعاء.

وتذكَّر أنَّ قلبك مصباح، يحتاج إلى قطرة زيت!

هذه القطرة كفيلة بإشعال المصباح. أتدري لماذا؟

لأنَّ الله يريد منك القطرة الأولى، والباقي تكفَّل به الله!

﴿لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً﴾.

تهيَّأ...

ولك أجر النزال والاشتباك، وإن لم تكن في الميدان.

﴿لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً﴾.

تهيَّأ...

أبعد نفسك عن مَواطن الخسَّة والفتنة.

﴿لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً﴾.

تهيّأ...

واغزل حبلك مع ربِّك في العشيِّ والإبكار.

«ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك»

ليس لكَ أن تضعَ علامةَ استفهامٍ أمام أقدارِ الله!

ضع نقطة.

ضع دمعة.

وقل: «ماضٍ فيَّ حكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك».

ارتُقْ صدرَك المفطورَ... بسجدة.

وأصغِ لترنيمة الفرَج المخبوء في التذلُّل والتودُّد.

واتْلُ انكسارَك عند بابه، ولا تقِفْ على باب غيره، فأبوابُ الغير مؤصَدةٌ وإنْ بدَتْ مُزيَّنة!

ألقِ إليه دعاءَك المُرتجف، أسمِعْه صوتَ أنفاسِك الملتهبة.

تَذَلَّلْ كصبيٍّ يرنو... إلى لُعبة.

واعلمْ... أنَّ رضاه عنك... برضاك عن قدَرِه!

سيُجبَرُ الكسر، وتُضاءُ قناديلُ العمر.

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

يا بنيّ...

إنَّ هذا الكرب لا يَجْلوه إلَّا «لا إله إلَّا أنت».

فقد قيل: «ما دُفِعَت شدائد الدنيا بمثل التوحيد».

ولا يؤنِسُ القلبَ الذي تصحَّر بالخُطوب سوى التوسُّل بالمعبود.

ومَن لم يلِن قلبُه لربِّه وقتَ الكُروب، فلْيراجع أمره.

«لا إله إلَّا أنتَ سبحانك».

يا بنيّ...

قل لربِّك «سبحانك»...

حينها تُفتَح أبواب السماء بحبال النجاة، ويحنُّ عليك الحنَّان.

قل «سبحانك»...

أنت المنزَّه عن ظلمي.

إن تعذِّبْني فبعدلك...

وإن تغفرْ لي فبرحمتك.

«سبحانك»...

فالذنب ذنبي، والأوزار تخنقني.

«سبحانك»...

قالها يونس في بطن الحوت، فسمعَت الملائكة صوته وقالت: «يا ربّ، نسمع صوتًا ضعيفًا بأرضٍ غريبة».

قال: «ذلك عبدي يونس، عصاني فحبسته».

قالوا: «العبد الصالحِ الذي كان يصعد إليك منه في كلِّ يوم وليلة عملٌ صالح؟».

قال: «نعم».

فشفَعوا له، فأمَرَ اللهُ الحوتَ فقذفه في الساحل.

يا بنيَّ قل:

«سبحانك»...

أنتِ المنزَّه عن ظلمي، وما أنا فيه من كربٍ صنعُ يدي!

«سبحانك»...

لا أسأل لماذا هذا الاختبار، لأنَّ رِفعتي من

هذا الباب.

يا بنيَّ قل:

«إني كنت من الظالمين».

بُح لربِّك بتفريطك وعجزك.

تذلَّل وانكسر، فالقلب الحيُّ توقِظُه سجدة!

حينها تجدُ ريحَ التعافي.

رطِّب أهدابَك بالدموع، وقلبَك بالاعتراف بالذنوب.

اتَّهِم ذاتك، وإيَّاك وسوءَ الأدب مع الله.

واجمع ذنوبك كلَّها وقل:

يا ربِّ عفوَك، لا أرجو إلَّا الوصول!

﴿وَأَصلح لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾

في صلاح الأبناء، ما لا يُدرَك ويُظفَر به إلَّا بالدعاء!

فإن تعبت وأصابك الهمُّ والكدر...

وحدَّقت في سجلِّ الصور، وقلت أين الخطأ؟

وقلت:

كأني ما تعِبت ولا شقِيت، ورِهاني على أولادي خسر!

قل حينها: ﴿وَأَصلح لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾.

فهي اعتذار منك إلى الله، فقد كنت على ثقة بما في يدك، أوثقَ ممَّا في يد الله!

فاعوجاج الأبناء... لا يستقيم إلَّا بمعونة الله.

وأول المناسك في التربية... الدعاء.

وأول الشعائر... أن تَنفُض يدك من حولك وقوَّتك إلى حول الله وقوَّته.

لقد خدعَك مَن أنبأك... أنَّ المهارات والأساليب التي تعلَّمتَها هي التي تربِّي!

تخلَّ عن جيشك الوهمي. تخلَّ عن يقينك بذاتك

وقدارتك!

فلا يفتح قلوبَهم لنصحك إلَّا الله.

فإن أردت ابنك ملء العين والبصر...

لا تقنط من الدعاء له.

وإيَّاك أن تكتويَ بِحَيدته عن الطريق، وتترك نصحه وبِرَّه.

واكفر بما في يدك من أسباب، وتعلَّق بخالق الأسباب، فهو الذي يهيِّئها لك إن أراد!

واحذر أن تترك ولدك عاريًا من دعائك.

ادعُ دعاء المنكسر الذليل المضطر.

وادعُ بعد الصلاة المكتوبة، فحينها تتنزَّل الرحَمات.

وانسب صلاح أولادك إلى ربِّك، فهو المربِّي!

وتعبَّد الله بالصبر عليهم، ومدارتهم والكلام معهم.

ولا تقنط إن لم يغيِّروا المسار، بل كن على يقين أنَّ الأمر بيد الله وحده.

فلا تنتظر منهم تغييرًا سريعًا، فالقلوب بين يدي الرحمن، يقلِّبها كيفما يشاء.

﴿وجاءته البشرى﴾

أمام عذوبة الآية...

وشهقة الذهول...

تذوب الروح شوقًا!

ويشرق الوجه الذي تجعَّد من الانتظار!

وما قبل البشرى، أنت في بشرى!

بشرى القرب من الله والأُنس به.

بشرى الوصل والرجاء!

وما قبل الإجابة...

لا تلتفت.

لا تعدَّ كم مرَّ من الوقت.

فهذا الوقت كان اللهُ ملءَ عينك وقلبك.

فتلذَّذ بصوتك الخفيِّ الذي لا يسمع همسَه إلَّا الله.

استأنس بذكره.

فالبشرى آتية. أَرِح قلبك.

إنها في بطن الدعاء!

﴿قُمِ ٱللَّيلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

مَن أراد قيامة الأُمَّة وبعثها من مرقدها، فلْيقم الليل!

فالجهاد يبدأ من فراشك، وينتهي تحت ظلّ السيف.

ومَن قدر على التسلُّل من الفراش الوثير، قاد نفسه.

ومَن قاد نفسه، انقاد له عدوُّه!

ومَنِ أراد أن يكون له سهم في النصر، فليقم في السَّحَر.

﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

ومَن ارتاب في قدرته على احتمال الثمن الباهظ للحقّ، فلْيقم الليل، فالقيام يمنحك قوَّةً لمواجهة الأغلال!

﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلًا﴾.

هذا زمنٌ استثنائي!

ولن يصنعه إلَّا الصفوة.

فالثلث الأخير من الليل هو المَدْرَج الذي تصعد منه إلى الشرف والرفعة.

فمَن تذوَّق البوح بوجعه لله وحده، تلذَّذ بالوقوف على الباب!

ومَن وقف بالباب، نال الشرف في السماء.

قال بعض السلف: «أهل الدنيا في ليلهم ألذُّ مِن أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليلُ ما أحببتُ البقاء في الدنيا».

ترنَّمْ بقول رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «واعلمْ أنَّ شرفَ المؤمنِ قيامُه بالليل».

فإن أشعلت ظلمة ليلك بمشكاة القرب والقيام، قطفتِ أسرار الفُيوض والفتوحات، وصار لك خبيئةً نتوسَّل بها في المُلِمَّات.

هي سجدة في الثلث الأخير، فإذا انحناءاتُ ظهرك نخلٌ باسقات.

وإذا أمانيُّك الظمأى... مَرْوِيَّات.

هي سجدة، تعتزل فيها صخب الدنيا ووهجَها الزائف، تتخلَّص فيها من السفاسف، تضمِّد طعَناتِ النهار، وترمِّم خدوش الروح، فتنتصب القامة في الصباح!

«واعلمْ أنَّ شرفَ المؤمنِ قيامُه بالليل».

أتدري لماذا؟

لأنك أغلقت كلَّ الأقواس على نصوص الوجع، وأبقيتَ قوس الله مفتوحًا!

لأنك في ظلمة الليل لا تكشف جرحك، ولا تتلو انكسارك، إلَّا له وحدَه.

فرُبَّ سجدة تعيد ترتيب حياتك، فيَعْشَوْشِب الأمل، وتُضاء غُرُفات القلب.

«واعلمْ أنَّ شرفَ المؤمنِ قيامُه بالليل».

فهي اللَّذَّة الباقية كما يقول ابن المنكدر. «ما بقي من لَذَّات الدنيا إلَّا ثلاث: قيام الليل، ولقاء الإخوان، والصلاة في جماعة».

«أنَّ شرفَ المؤمنِ قيامُه بالليل».

لأنك أضأت عتَمة بيتك بسجدة.

حينها يصبح لك صِيت في السماء، فالملائكة تنظر إلى الأرض الظَّلْماء، فترى نورًا يلمع كالنجوم في السماء. إنها بيوت القائمين بالأسحار.

تعرفهم السماء، فيعلو صِيتُهم وتُذاع أسماؤهم، فيُكتَبُ لهم القَبولُ في الأرض.

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٢٤﴾

يا مَن تسأل عن سرِّ إجابة الدعوات.

ارفع يديك تضرُّعًا وتذلُّلًا.

ارفع يديك وافتح سجلَّ النِّعَم.

قلِّب الصور.

كحِّل عينيك بألطاف الله عليك.

يا بنيّ...

كم مرَّةً تشقَّقَت كفُّك، فإذا هي ملأى بالخِضاب؟!

وكم مرَّةً انحنى عودُك، فإذا هو غصن زاهٍ؟!

كم مرَّةً أرهقك الوقوف، فأسندك الجبار؟!

كم مرَّةً غرقتَ في اليمّ، فلاحَ لك قاربُ نجاة؟!

أليس يكفيك... أنه كلَّما جفَّت زهورُك فاح عبيرُها من جديد؟!

أثنِ على ربِّك مُرسِلِ الخير. واستعذب الدعاء، فهو معونة الربِّ لاحتمال الوجع، هو لطف قبل الإجابة.

توسَّل إلى الله بفتوحاته وخيراته السالفة عليك.

قدِّم لدعائك كما قدَّم موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾.

قل له: «يا ربِّ، الخير كلُّه منك».

قال ابن عاشور عن خبر موسى عليه السلام في هذه الآية: «تذكَّرَ بهذه النعمة نِعَمًا سابقةً أسداها اللهُ إليه، مِن نجاتِه من القتل، وإيتائه الحكمةَ والعِلم، وإيصاله إلى أرضٍ معمورةٍ بأُمَّةٍ عظيمةٍ بعدَ أن قطعَ فَيَافِيَ ومَفازاتٍ»، فضلًا عن تربيتِه في بيت الترف والمُلك مع حفظ عقيدته.

صحِّح بوصلتك.

وتذكَّر...

أنَّ أصدق الدعاء ما يصفُ الحال...

وأعذَبه... ألَّا تشغلك الإجابة عن التلذُّذ بالقرب من الله والأُنس به.

قال ابن تيميَّة: «وصَفَ موسى حالَه بأنه فقيرٌ إلى ما أَنزَلَ اللهُ إليه مِن الخير».

فوَصْفُ الحال من افتقار وحاجة... سؤال.

افتح أشرعة قلبك لربِّك. حينها لن تعود خائبًا

ولا مخذولًا.

واللهُ... كما يحبُّ أن نتوسَّل إليه بأسمائه وصفاته، يحبُّ أن نتوسَّل إليه بحالك وضعفك وعجزك وفقرك.

فقد وصل موسى عليه السلام إلى مَدْيَن طريدًا، جائعًا عطِشًا، ليس له طعام، لاصِقًا بطنه بظهره من شدَّةَ الجوع، وإنَّ خضرة البَقَلِ وأوراق الشجر لتُرى من داخل جوفه، فتوسَّلَ إلى الله بحاله.

وتيقَّنْ...

ساعةَ ترى سرب الدعوات يلهج به لسانُك، فاعلم أنَّ عنقود الإجابة دنا وتدلَّى!

وإن أردت أن تقطف وَرْدَك قبل الحصاد، وتُرَمِّم ما عصف بقلبك من أوجاع...

اضبطْ أوتار الدعاء...

توشَّحْ بالانكسار والافتقار والمسكنة...

أظهِرْ عجزك وفقرك وقلَّة حيلتك.

حينها تكون الاستجابة.

وإن أردت سرعة الموعود، ثق بصاحب الوعد.

فما إن أنهى موسى عليه السلام دعاءه، حتى جاءته الفتاة التي سقى لها. ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥﴾

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾

مَن يَزُفُّ دعاءه بالإخلاص واليقين...

يكفل اللهُ له الإجابة!

فالله ضَمِنَ إجابةَ المضطرّ، مؤمنًا كان أم كافرًا!

فَسِرُّ الإجابة...

أن يرى الله قلبَك المعصور عصرًا...

وظهركَ المحنيَّ صبرًا، فلم تعد تطيق حملًا!

ادعُ إلى أن يجفَّ حلقك.

ادعُ دعاءَ المكبَّل بالأغلال.

ادعُ دعاءَ مَن شبَّت النارُ في ضُلوعه.

فهذه علامة القَبول.

واجعل لجرحك فمًا ينطق. حينها يُفتح الباب المقفول!

فآفة الدعاء... أن يتمتم لسانُك وما زال قلبك معلّقًا بالأسباب دون ربِّ الأسباب!

وتضرَّعْ إلى الله... تضرُّعَ مَن بها طَلْقٌ. حينها يكون الميلاد هو الجواب!

وادخل إلى محرابك بقول عمر بن الخطاب:

«أنا لا أحمل همَّ الإجابة، ولكني أحمل همَّ الدعاء».

فإن فُتِحَت دفاتر الدعاء، أُعطيتَ حبرَ الإجابة!

وأرِ الله صدق الالتجاء إليه، كما رأى مَوقِدَ قلب تلك المرأة التي أتت إلى الجُنَيد تسأله أن يدعوَ اللّٰهَ أن يردَّ لها ابناً ضاع...

فقال لها:

اذهبي واصبري.

ثم عادت وطلبت الطلب ذاته...

فقال:

اذهبي واصبري!

ثم عادت وقالت: لم يبقَ لي طاقةٌ على الصبر!

فقال لها:

إن كان الأمر كما قلتِ، فاذهبي، فقد رجع ابنك.

فمضتْ، فوجدته!

فقيل للجُنَيد:

بمَ عرفتَ ذلك؟

قال:

من قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يجيب المضطر إذا دعاه﴾.

فعندما يَثقُلُ حِملُ ظهرك، يرفعه الله عنك!

●

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾

هكذا شرَحَ اللهُ لنا معادلة النِّزَال.

نتساوى في الألم والجراح، ونختلف في المآلات.

وحسابات الربح والخَسارة تكون بثواب الأعمال، لا بالأوجاع والآلام.

فلا تغرَّنكم طُبولُهم، فإنما هي قرْع فارغ!

﴿قَالَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ
قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾

اتلُ هذه الآية، فهي خلاصة العمر!

سألهم الله عن عدد السنين التي قضوها في الدنيا، فأجابوا بإحساسهم فيها: ﴿ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾.

فقارورة العمر كقارورة العطر، سريعةُ الأُفُول!

يا صاحب الدنيا...

قف قبل أن ينتهي المضمار.

كن يقظًا حتى لا تصحوَ على ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾.

تضرَّع إلى ربِّك كي لا تكون الدنيا مطلبك.

فشَهْدُها... سُمّ.

وبَرْدُها... حميم.

وسِنينُها مهما طالَت... يومٌ أو بضع يوم!

انسلَّ من عمرك، واسأل نفسك قبل فوات الأوان:

كم عشتَ من عمرك الذي مضى؟

هل شعرتَ بأيامك وساعاتك ودقائقك وثوانيك؟

لو فتحت شريط العمر، كم ساعةً ستجمع منه؟

إن أرهقتك الدنيا بالوجع والفقد، تذكَّر قول رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «ما لي ولِلدنيا؟ ما مَثَلِي ومَثَلُ الدنيا إلَّا كَرَاكِبٍ سارَ في يومٍ صائفٍ، فاستَظَلَّ تحتَ شجرةٍ ساعةً مِن نهار، ثمَّ راحَ وتَرَكَها».

إيَّاك أن تتلبَّسك الدنيا.

إيَّاك أن تقطع أُورِدَتَك مع الآخرة، فهي مقصدك، ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يعلَمُونَ﴾.

اجعل الآخرة وجهة قلبك...

وصلاة عينك، حينها يهون الوجع.

حينها نتذوَّق قول الصحابي حَرَام بْن مِلْحان، عندما طُعِنَ في ظهره فخرج الرمح من صدره، فقال: «فُزْتُ وربِّ الكعبة».

وكيف تكون الخسارة عين الربح، والموت عين الفوز، لولا أنَّ الموتَ بدايةُ الحياة؟!

إن انزوَت الدنيا عنك، وانسكبَت الأحزان في

كفّك، فقل ما قاله رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لعمر بنِ الخطَّابِ عندما رأى أثر الحصير في جنبه، وفارسُ والرومُ على ما هم عليه:

«أمَا تَرضى أن تكونَ لهم الدنيا، ولنا الآخرة؟».

﴿لَبِثْنَا يومًا أَو بَعضَ يوم﴾

تلوِّح لك الآيات بقِصَرِ عمرك مهما طال، ولا عمر يطول، أليس له ابتداء وانتهاء؟!

وحتى لا ينفطر قلبك على دنيا تَسُحُّ بِالكُروب، تذكَّرْ وجهتك.

صوِّب نظرك.

أعد تحديد بوصلتك.

إيَّاك أن ترمش عينك لدنيا، إيَّاك أن تنقشها وشمًا على صدرك!

واحذر أن تجزع لكرب.

أدِر ظهرك للدنيا.

اطمئنّ، فما هي إلَّا جسر للمستقَرّ!

والعمر ليس نهايته الموت، فالموت زائر، يزورك كما يزور المِرْوَدُ العين.

فإن صحَّت نظرتُك إلى الدنيا، استقامت نظرتُك إلى الآخرة.

﴿ومنَ الناس من يعبدُ اللهَ على حرف﴾

إخَالُك أيُّها الساخط... مُعلَّقًا على طرَف السطر، ترْقُب أفعالَ الله.

إن طابت لك، طربت ودخلتَ الصفحة.

وإن لم تَطِبْ لك، سخطتَ ومزّقتَ صفحةَ الإيمان.

إيمانٌ طارئٌ حسب المزاج!

فرفقًا بنفسك، أيُّها المُعلَّق على حبل الهوى والشكّ!

لا تكن غصنًا جافًّا خاويًا، لم تلمسْه قطراتُ الإيمان.

فقد يُهذَّب العُشبُ بالمِنجَل، فيَقوى ويعلو.

وقد يكون الوَردُ في قلب الشوكة!

والسقوط قد يكون إلى أعلى.

ولَربَّما سُدَّ في وجهك بابٌ، لتُفتَح لك أبوابٌ.

وقد تكون النوازلُ حبلَ نجاة.

فلا ترسمْ شكلَ النجاة وميقاتَها.

دعْ ذلك للحكيم العليم.

وإيَّاك...

أن تكون عَصِيَّ الفَهم، وتظنَّ بالله الظنون.

فالقمحُ لولا الرَّحى لمْ يُنثر.

﴿وقتل داود جالوت﴾

إنها الحكاية ذاتها.

حكاية المقلاع الذي ابتكر النصر...

وألهم الجمارَ الباردةَ الاشتعال!

﴿وقتل داود جالوت﴾.

إنها حكاية أصغر المحاربين، الذي قتل العملاق الجبَّار!

تقدَّمَ وحدَه.

رأى نفسه كثيرًا بربِّه، فأمدَّه الله بحبله.

كلُّهم رأوا جالوت إلهًا من دون الله.

وحدَه داودُ رآه مسمارًا... يَسهُل قلعُه!

إنها الحكاية ذاتها!

لقد حادَ أصحاب الجيوش الكثيرة عن المعركة؛ رأوا أنفسهم قلَّة!

وثُلَّةٌ صغيرة... في بُقعة عطشى محاصَرة... رأت نفسها أكبر... بـ«الله أكبر»، ليكون النصرُ للصفوة.

ولِيعلمَ مَن عَقَّ دينَه وارتعشت كفُّه، بأنَّ

مَن يخشاه لا يعدو نَخَّارًا، أو صنمًا قزَمًا صنعه الارتعاش!

وأنَّ النصر يُستمطَر بقَطْع كلِّ الأوردة، عدا وريدًا واحدًا يتَّصل بالله.

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً﴾

يسمع ابنُ أمِّ مكتوم هذه الآية، فيكون أول ما يتبادر لذهنه -وهو الضرير العاجز- سؤال: ما الدور المطلوب مني؟

لا يستوي!

أيقن ابن أمِّ مكتوم أنَّ لحظة ملاقاة الأعداء والتصدِّي لهم، لحظةٌ حاسمةٌ تبدأ فيها الغربلة والتصنيف.

في هذه اللحظة، يظهر مخزونك الإيماني، حقيقتُه مِن زَيفه!

وتنكشف أوراقك المجعَّدة التي خبَّأتَها طويلًا عن العيون.

يظهر اعوجاج ساقك وتخلخلها، أو استقامتها

وثباتها.

ففي كلِّ مواجهة مع العدوّ، يريدك الله أن تكتب كلمتك في سجلِّ الأمَّة.

يريدك وتدًا في خيمة الشرف والعزَّة.

يريدك بصمةً في المجرَّة.

هل عرفت موقعك في مَقْتلَة غزَّة؟

هل أسرعت لتتَّخذ مكانًا لك بين المجاهدين، أم أبطأت؟

هل أنت ممَّن أسرع إلى ربِّه واستعدَّ وتأهَّب، أم كنت ممَّن تراخى وتكاسل وخاف على نفسه؟

حدِّد موقفك.

قِف على صهوة فرسك، وإيَّاك أن ترضى لعينيك العمى وأنت مبصر!

إيَّاك أن تنأى بنفسك عن الجهاد وأنت قادر.

واحمل سيفك وشُدَّ تُرْسَك.

كن متيقظًا منتبهًا، حتى لا تُكتب قاعدًا!

﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾

ولِكي ترضى عن الله، كن كالخضِر، إذْ تجلَّى له السرُّ والمغزى.

لا تكن أسير هواك، ولا يكن هواك هو الميزان!

وارفق بنفسك، فلا تدَع عقلك المحدود يكون الحَكَمَ على أقدار الله، حينها سيكون السخط!

قل لي بربِّك، كيف يحكم القاصر على الكامل؟

وتذكَّر...

ماذا لو كان اليمُّ هو المنجاة؟ ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾.

وماذا لو كان انحناء النخل... هو الغَلَّةَ الوافرة؟!

وجفاف العشب هو الميلادَ المرتقب؟!

فالرضا مخبوء في جِرَار اليقين.

ألم تعلم يا هذا... بأنَّ سواد الأقدار هو البياض؟!

﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالًا﴾

لا تذهبْ نفسُك عليهم حسرات.

لا تحزنْ على مَن مضى وتخلَّف.

هم أُسُّ الهزائم.

ومَن أراد النُكُوص تَذَرَّع!

قالها الجدُّ بن قيس، زعيم المنافقين:

﴿ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓ﴾. ائذن لِي بعدم الخروج معك يا محمد، فأنا رجلٌ شديدُ الوَلَه بالنساء، وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن أُفتن!

﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالًا﴾.

ففي حرب التحرير تُغربَل الصفوف، ويُفرزَ القمح من الزُّؤَان.

وفي الثورات يتكاثر العملاء والأنجاس، ويعلو صوت الخاذلين والمُثَبِّطين.

إيَّاك أن تسمع لهم، فتُحبس في غُصَّة صدرك!

إيَّاك أن تملَّ طريق الحقّ، وتزهد في النصر!

﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالًا﴾.

ها هو أُبَيُّ بْن سلول يظهر مرَّةً أخرى.

يسنُّ سننًا للفتنة.

يزعزع الصفوف، ويُشعِل قلوب أهالي الشهداء بالحسرة.

يتناسل أتباعُه أمام عينك!

لا تحزن...

فهؤلاء لم يكونوا يومًا في الصفّ!

كانوا دومًا الشوك والجمر!

أتباع أُبَيّ بْن سلول الجدد يقولون: ﴿لَو أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾، ويزعمون أنَّ البطولة انتحار، تجرُّ للشعب الجوع والدمار.

تناسَوا أنَّ الجرح قديم، والرمح في الخاصرة غار!

ابتدعوا أسماءً للوهم والسراب.

فالتخلُّف عن ركب الثورة: حكمة.

وحراسة الوطن والذاكرة: مَغْرَم ومَضَرَّة.

﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾.

والخبْل: فساد العقل والرأي والتدبير!

والخبّالُ النقصان.

هؤلاء المخبولون لو خرجوا في المعركة لَارتدَّ النصر!

فلا تعجب ممَّا يفعلون، فالفأس تخون الشجرة!

﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾

كم قدرًا من أقدار الله وقفت أمامه مندهشا متعجِّبًا، غير قادر على تفسيره؟!

كم مرَّةً طرحت أسئلتك ولم تجد إجاباتك؟

كم مرَّةً حملت على ظهرك ما لا تطيق، لتكتشف أنَّ استقامة ظهرك بسبب ذلك الحِمل؟!

كم مرَّةً اسودَّت الدنيا في وجهك، لتكتشف أنَّ سواد الأقدار شامة؟!

مَن يفقه السرَّ ويَحُلُّ الأحاجي؟

ويمسك الإبرة ويقطِّب الشرخ الذي يصيب العقل؟!

لكلِّ قدَر من أقداره تأويل، لا يدركه إلَّا مَن عرف الحكيم اللطيف، العليم بدقائق الأمور وتفاصيلها.

الحكيم، الذي يقدِّم ويؤخِّر، وكلُّ شيء عنده له ميزان، وكلُّ فعل من أفعاله له وقت ومكان.

أفعال الله التي تجري عليك هي طوفانك، فاعتنِ بيقينك لتحملك السفينة.

﴿سبحان الذي أسرى﴾

يا طاعنًا في اليأس، ألقِ على نارك:

﴿سبحان الذي أسرى﴾، تَبرأ.

فسبحان الذي ضيَّق الأرض، لتكون السماءُ هي المأوى.

وسبحان مَن غيَّر النواميس، ليهدهد وجع نبي ويطفئ ناره.

وسبحان مَن بدَّل وحشة النبي، فكانت أرض التين والزيتون له مشكاة.

وسبحان مَن كسر القوافي، ليكون الأقصى هو القصيدة.

فعندما اكتظَّ القبح، كانت القدس هي الحُسنَ والجمال.

أتظنُّ بعد ذلك أن يردَّ كفَّك الممتلئة بالأمنيات ويصدَّك؟!

أتظنُّ أن يطولَ المخاض؟!

فلْتشرق روحك...

ولْتطمئنّ.

وعندما تتعدَّد الاتِّجاهات، فلْتكن القدسُ وِجْهتَك!

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾

الحبُّ ذخيرتك، فاختر مَن تُعطيه مشاعرك وزهر قلبك.

لا تصرف حبَّك وتَبذُرْه للعالَمين. ادَّخِره للواحد الأحد. فإن فعلتَ حبَّبَ فيك خلقه، وأتاك بقلوب العباد صاغرة.

وإن استنفدتَ ذخيرتك من الحبِّ لهذا وذاك، ونثرتَها في مضمار الدنيا، نفد ما عندك من مخزون، ولم يبقَ لله منه شيء، ثم كان جزاؤك ألَّا تلقى من الناس إلَّا الهمَّ والكدر. كيف لا وقد قدَّمتهم على مولاك؟!

إيَّاك أن يزاحم حبُّ الدنيا وأهلها حبَّ الله عندك، فذلك عنوان الهزيمة!

احفظ ذخيرتك من الحبِّ لمَن يستحقّ، حينها سيُجري الله في كفِّك زمزم!

وحتى لا يُطفَأ قنديلُ قلبك، أحبب الله حبَّ الخواصّ.

أحببه... إن أعطاك أو منعك...

إن قدَّمك أو أخَّرك...

إن ضيَّق عليك أو وسَّع.

وكن كما قال الجُنَيد: «المحبَّة إفراطُ المَيل بلا نَيل».

ولا تبتئس بالنوازل والبلايا.

فالنازلة قربٌ من المحبوب وأُنسٌ به، وحلاوة في السجود، وتلذُّذٌ بترقُّب المأمول.

وقل يا ربّ...

حاشى أن أكون كالعوامّ في محبَّتهم التي تعلو وتهبط، وتقلُّ وتكثر، إن ساق لهم العطايا والنعم أحبُّوه وعظَّموه، وإن منعهم وأخَّرهم جزعوا واتَّهموا الله في حكْمه وقدَره، ولم يعرفوا أنَّ منعه عطاء، وجدبه اخضرار، وقفله هو المفتاح! وأنَّى لهم أن يعوا ذلك وهم لا يعرفون أسماء الله وصفاته، وعظيم قدرته وقدْره، وفرادة حكمه ولطفه؟!

قل لمَن يريد أن يظفر بمعنى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾:

لا بدَّ أن تخلع عن كتفك وشاح الدنيا، فعنوان الوصول إلى الله تقديمُ محبَّته على كلّ محبوب.

﴿يُحِبُّهُمْ﴾...

وللمرَّة الأولى أشعر أنَّ مبدأ الحبِّ من الله،

وكنت أظنُّ أننا نحبُّ الله فيحبُّنا، ولكنَّ الله بدأ بمحبَّته لنا وتودُّده إلينا.

الله جلَّ جلاله... يعنيك ويعنيني بهذا الحبّ. إنه ينادينا. فإن تذوَّقتَ طعم الوصال والقرب، لم ترضَ له بديلًا!

حسبك أنه يحبُّك ويؤويك، ويروي ظمأك للحبّ.

إن أَحَبَّك، فقد استغنيتَ عن كلِّ محبوب. إن أَحَبَّك نادى: «يا جبريل، إني أحبُّ فلانًا»، فيحبُّك أهلُ السماء، وتتسابق الملائكة إلى محبَّتك، ويضع الله حبَّك في قلوب الخلائق.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾

دمع هذا المحبوس الذي منعه العذرُ وقلّةُ ذات اليد، يساوي وزن دم المجاهد في الميدان!

فهذا الدمع الذي يجري هو نزف الروح!

فلا يستقيم العمل ما لم تَصْفُ النية. ورُبَّ عملٍ قليل تلقّاه الله بيده، ورُبَّ عملٍ كثير صَغُر لاختلاط النية!

اشْدُد رحالك إلى قلبك كلَّ حين. تفقَّد بوصلته وحركته، إلى أيِّ اتِّجاه تشير.

نقِّح نيَّتك، وارتُقْ المثقوب منها لتبلغ.

ولا تعوِّل على كثير العمل، فقد يتلعثم العمل ويبحُّ صوته، لكنه يصل عندما تكون النية فصيحة!

احرُس قلبك جيِّدًا، ولا تُدخِل عليه ما لا يستحقّ!

﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨﴾

كان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم إذا رفعَ رأسَه من الركعة الأخيرة من صلاة الصبح يقول: «اللهمَّ أَنْجِ عَيَّاشَ بْنَ أبي رَبيعة، اللهمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هشام، اللهمَّ أَنْجِ الوليدَ بْنَ الوليد، اللهمَّ أَنْجِ المستضعَفينَ مِن المؤمنين».

يوقد رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم مصباحَ الأسرى في صلاة الفجر، حتى تبدأ يومك بهم، فلا تعْلَقَ بِشَرَكِ الدنيا.

يدعو لهم بالاسم، حتى تبقى ملامحُهم وسيرتُهم وبطولاتُهم مخضرَّةً في أوراق الزمن.

كأنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يوسِّع لهم مكانًا بين الصفوف وفي الذاكرة.

يجعل أحزانهم وأوجاعهم... حزنًا واحدًا لِلجُموع.

فيا ربّ...

إنهم قامات أُمَّتنا، كالنخل باسقات...

فأعوذ بك يا ربّ... أن تخنيَ القامات بالنسيان.

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾

ثَمَّ حربٌ نفسيةٌ يواجهها المؤمن، يدفع ثمنها وحشةً وغربةً وإقصاءً، لا لشيء إلّا لأنه يقول: ربِّيَ الله!

يُسخر منه، لأنه مؤمن!

يُستهزأ ببياض قلبه، وطُهر غايته ونُبل مقصده!

والله يتحنَّن على روحه المتعَبة.

يعلم ما عصف بقلبه من آهٍ ونزْف.

هذا لسان الحال. صورة تتكرَّر في كلِّ زمان ومكان.

فالشوك يحاكم السوسن!

والقبح يتسيَّد الجمال.

والغواية تسخر من الرشد.

والمكارم تصبح مهلكات. والوساوس صارت هي اليقين!

وأدْعياء النبوَّة... في كلِّ وادٍ يَهيمون.

ومَن في القاع... يحكمون مَن يناهزون النخل علوًّا!

هذه معركتك...

فلا تبتئس!

وهذا ابتلاؤك.

ما ضرَّك أهلُ التفاهة والحماقة والهشاشة!

ما ضرَّك ما يسخرون وما يهزؤون!

تضطرب التسميات، وتختلط المقاييس، الرأي...

لأنَّ المقياس هو متاع الدنيا!

وما بين البَدء والختام، يحسم الله الأمر...

فيخبرك:

﴿والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة﴾.

﴿فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين﴾

ليخفق قلبك فرحًا بربِّك، فلم يتركْك نهبًا للهواجس والظنون!

ألقى على أفكارك السوداء بياضًا، وتعهَّد لك بالحفظ والأمان!

فأنصِت لكلام الله...

واصدح بـ﴿فالله خير حافظًا﴾.

ولا تترك نفسك أُلعوبةً بيد الشيطان، يؤرجحك على حبال القُنوط والقلق.

قلِّب سجلَّ النِّعم، حينها سترى صورًا بهيجةً غابت عن ذاكرتك.

سترى نخلتك الشاهقة ما انحنت ولا انكسرت!

وسترى كفَّك المنقوشة بحنَّاء الفرح!

حينها ستتذوَّق طعم اليقين، وتجد عطر النجاة.

تلذَّذ وترنَّم بهذه الآية، فكفى بها مُتَّكأً...

وكفى بها بلسمًا للبلاء.

﴿وكفى بالله وكيلا﴾

والهمّ...

كالرحى، يطحن العمر طحنًا.

إن لم تتلُ ﴿وكفى بالله وكيلا﴾...

ستبقى تدور، تدور حول همِّك.

فلا قمحَ تجني، ولا مخرجَ تجد!

وهيهات تجد المخرج...

وهمُّك تنثره على أبواب الغرقى والمقيَّدين مثلك!

اتلُ الهمَّ في المحراب...

واتَّبع ملَّة التذلُّل والانكسار عند الباب.

وَكِّله، تَصُنْ عمرَك.

وَكِّله، ونَمْ قرير العين.

وَكِّله، ولا تفتِّش بعده.

لا تترك نفسَك للقلق فريسة.

فكيف تجمع بين الضدَّين...

التوكيل والشكّ؟!

«إنه قد شَهِدَ بدرًا»

قالها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في حاطِبِ بْنِ أبي بَلْتَعَةَ عندما اكتُشف أمرُ الرسالة التي أرسلها إلى أهل مكَّة يخبرهم فيها بأنَّ رسول الله قادمٌ لفتح مكَّة!

وعندما راجعه الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم في الأمر قال له:

يا رسولَ الله، لا تَعجَلْ عليّ، إنما أحببتُ أن أتَّخِذَ عندَهم يدًا يحمون بها قَرابتي. والله ما فعلتُ ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن ديني!

فقال عمر رضي الله عنه:

يا رسولَ الله، دعْني أضربْ عنق هذا المنافق.

فقال رسول صلَّى الله عليه وسلَّم:

«إنه قد شَهِدَ بدرًا».

لله دَرُّ مَن جعل الحسنة تسبق السيِّئة وتمحوها!

فَرُبَّ حسنة واحدة تسبق ألف سيِّئة!

لماذا لا نجعل هذه الكلمة نصًّا يعيد تشكيل علاقاتنا؟!

«إنه قد شَهِدَ بدرًا، وما يُدْرِيك لعلَّ اللهَ اطَّلعَ

على مَن شَهِدَ بَدْرًا فقال: اعمَلوا ما شِئتُم، فقد غَفَرتُ لكم».

كأنَّ رسول الله يهمس لنا:

رُبَّ عمل واحد يشفع، فيكون هو المَطْلع والختام.

«إنه قد شَهِدَ بدرًا».

كأنَّ الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم يريد للعلاقات ألَّا تنقطع... بخصومة عابرة، أو ذنب طارئ، أو إيذاء غير مقصود.

إن أساء أحدهم إليك بعد إحسان...

قل إنه «شَهِدَ بدرًا».

فالإحسان يُثقِل الميزان، يرجّح الكِفَّة.

الإحسان ينطق بما لا تنطق به الأفواه، ويعانق عندما تُصَفَّد الأيدي!

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾

كلُّ المشاعرِ لا تُحاسَب عليها إلَّا إذا تحوَّلَت إلى فعل، إلَّا محبَّة أن تشيع الفاحشة في المؤمنين!

﴿يُحِبُّونَ﴾.

خَفقةُ قلبِك لِلقُبح والفُحش مُحاسَبٌ عليها!

والمَحبَّة موطنها القلب.

هي شعور، لم يتحوَّل إلى فعل ولا كلام ولا تعليق. خصلة داخل القلب لم يطَّلع عليها أحد، ومع ذلك ستُحاسَب عليها!

أتستغرب ذلك؟!

الفعل القلبي ومَحبَّة الفاحشة، يوازي القول والتعليق والفعل!

الله أراد ألَّا نُشِيعَ الخطايا.

أتدرون لماذا؟

لأنَّ هناك مَن تسوِّل له نفسه فعلَ الخطيئة، وعندما يرى أُسْوةً له قد سبقه، يتجرَّأ.

حين يرى الخطايا تنتشر وتُتناقَل على الألسن وفي

جَنَبات البيوت، يَألفها ويستسيغها ويعتادها، فلا تأنفها نفسه!

فإشاعة الخبث والفحش، والجرأة على الحديث في هذه الأمور، يسهّل الأمر أمام مَن ينوي الفعل.

ولذلك توعَّدَ اللهُ مَن يحبُّ أن تَشِيع الفاحشة، فكيف بمَن يسوّغها ويتناقلها ويؤيّدها علنًا؟!

اتلوا المحاسن، كي نرتوي من الجمال والأناقة والإشراق.

انشروا الطهر، كي تعتاده أعينُنا.

انثروا العطر المخبَّأ في القوارير، كي نألف الوَرد.

طوفوا بالرياحين، حتى نستغربَ رائحة الخبث ونلفِظَه.

﴿هنالك دعا زكريا ربَّه﴾

رأى زكريا عليه السلام عند مريم فاكهةَ الصيف في الشتاء، وفاكهةَ الشتاء في الصيف، فطمع في عطاء الله ودعا ربَّه!

للدعاء مواسم، وموسمه المَطَرِيّ... حين يحلّقِ القلبُ ويطرّزه اليقين.

قد ترى معجزة، قد تطرق بابَ قلبك آيةٌ تقْلب حياتك، وترتوي بعد عطش.

قد يَرِقُّ قلبُك بعد أن يَبِس، ويَطْرى بعد أن جفّ.

قد تلْمس عظمة ربّك.

هي لحظة...

في مكان ما...

في وقت ليس ككلِّ الأوقات، ليس له ميقات.

حيث وَرْدُ الروح يتفتَّح ويَعْبَق...

حيث تحتسي الإجابةَ وتتذوَّقُها، فتذوب دهشةً من عطاء الله.

هي لحظة، فاغتنِمها.

قل يا الله...

فهذا موسمك أنت.

لا تُهَندِس الدعاء...

لا تُنمِّق الحروف...

دع أحلامك تسيل...

التقِط ساعة الإجابة الخاصَّة بك، إيَّاك أن تُفلِت منك.

﴿وذكّرهم بأيام الله﴾

هل لك ذكرى مع ربِّك؟

أم إنك مثل أحدهم، لا يذكر سوى سُودِ الليالي، أمّا بِيضها فينسى؟!

كثيرون...

لا يذكرون من أيام الله سوى العَلْقَم!

لكلِّ وردة عندهم فأسٌ يقْطعها، أمَّا العلقم فهو الباقي في حياتهم.

ذاكرتهم مليئة بالثقوب والندوب، أمَّا البشير والقميص ففي أَزِقَّة الذاكرة!

يا بنيّ...

احفر في أخدود الذاكرة:

كم عثرةً أنقذك الله منها؟

كم مرَّةً جفَّ النهر في كفِّك، وأجراه الله؟!

كم خَرْقًا في سفينة حياتك سدَّه ربُّك؟!

لا تنسَوا أيَّام الله.

«لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله»

حَسْبُك من الكنوز هذا الكنز!

فهو غرسٌ من غِراس الجنَّة، وإلى الجنَّة يُفْضي بك.

هو الأنْفَس من الكنوز، يدَّخره الله لك في خزائنه الملأى.

ولَسوف تَظفَر بالكنز... إن ذاق قلبك حلاوة التسليم لأمر الله قبل لسانك!

فيا أيُّها المحزون والمكروب...

دندن بهذه الكلمات، فإنها ليست ككلِّ الكلمات.

إنها حصاد اليقين والتذلُّل والانكسار!

فلا حول لك عن كَربك... إلَّا بالله.

ولا قوَّة لك على وجعك... إلَّا بالله.

قلها...

عندما تجفُّ عُروقُ روحِك من الحزن!

قلها عندما لا تستسيغ طعم الماء لمرارته في حلقك!

عندما يضيق صدرك ويشتهي الشهيق!

وينُوءُ ظَهرُك بالأحمال ولا مُعِين!

قلها...

وخَلِّ عنك الوساوس والظنون!

حَسْبُك «لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله».

حَسْبُك هي...

عندما يتغزَّل الدمع بعينيك، وتتبلَّل المناديل!

لُذ بها... عندما يُجرَح زهرُ عمرِك!

ردِّد ما أخبر به جبريلُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم:

«لا حولَ عن معصية الله إلَّا بقوَّة الله، ولا قوَّةَ على طاعته إلَّا بعون الله».

ردِّدها...

عند إقبال مواسم العبادة، لتقوى على الطاعة...

وعند إقبال الدنيا عليك، لتدوم النعم.

فقد قال رسول الله: «مَن أَنعمَ اللهُ عليه نعمةً فأرادَ بقاءَها، فليُكثِرْ مِن لا حول ولا قوَّةَ إلَّا بالله».

قل هذه الكلمات... عندما تُغلَق الأبواب،
اجعلها فأسك الذي تُفتحَ بها المَغالِق،

﴿سنشد عضدك بأخيك﴾

بريشةٍ مغموسةٍ بالحبّ، يرسم لنا القرآن خريطة الأخوّة الأبهى، يعيد لنا تشكيل ما قد يَخْبُو ويَبَهت!

يرسم لنا يدًا... تشتدُّ وتقوى وتمتدُّ بكلمة واحدة: ﴿بأخيك﴾. فقوَّة اليد بالعَضُد، والأخ هو العَضُد، هو السياج.

فأيُّ سرّ يهمس لنا به القرآن؟

إنه يهمس لنا... بسرِّ القوَّة والعزَّة والغَلَبة والسلطان.

﴿سنشد عضدك بأخيك﴾.

كلُّ الأيدي وإن مُدَّت إليك لا تراها، إن لم تكن يدُ أخيك معك!

وكلُّ الأكُفِّ رماح، وكفُّ أخيك هي التي ترفعك!

بعض المعارك الانتصار فيها... أن يكون جيشُك أخاك!

وبعض الهزائم سرُّها... أن يكون قوسُك خاليًا من السهام!

وبعض الأعداء يكفيك أمرَهم... حصنٌ وملجأٌ عنوانه: أخ.

على وُسْعِها تَضيق عليك الدنيا.. إن خسرتَ أخاك!

﴿وقالت لأخته قصيه﴾

قالت لأخته!

ولِمَ الأخت؟

لأنها تحمل قلب أمِّها...

وقلبُها بالأمومة ممتلئ!

الأخت سطرٌ من الحُبِّ، خلَّده التنزيل.

تزرُّ قلبها على أخيها، وتشدُّ بلهفتها عليه القميص!

كظبْية عاشقة، تسابق موج النهر.

يدقُّ الخوفُ أقدامَها، فتهتزُّ وترتجف، فهل عُيون الطاغية كعُيون الصياد؟

﴿قُصِّيه﴾.

تتْبع الصندوق بنار قلبها، يرتفع صدرُها ويهبط مع كلِّ موجة.

أختٌ صغيرةٌ تتكفَّل بمهمَّة خطيرة يعجز عنها الرجال!

لله دَرُّها!

لم يخلِّد القرآن اسمَها أو وصفَها...

خلَّدها بقوله: ﴿لأخته﴾.

عرفناها بمشاعرها وأحاسيسها، وأُخُوَّتها.

بنظرات عينيها وهي تتبع الصندوق، وتسمع صرخات الوليد، وتُحاوِرُ من في القصر لِتقْنعهم بِمُرضِعة!

أيُّ حبٍّ ذاك الذي يجعل فتاةً صغيرةً ضعيفة... تركض في أثر أخيها المهدَّد بالسكّين؟!

إنه يملأ قلبها وعينيها، فلا ترى أحدًا سواه!

فسبحان الذي جعل الأخت تَصطفي من العالمين أخاها!

ج

﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ٢١﴾

قال السَّعدي: «طلبوا الجهاد، وتركوا العمل المفروض عليهم!».

والأولى والأَلْيَقُ بهم أن يمتثلوا الأمر الحاضر!

فإنْ أَنِسْتَ بصلاة أو قيام أو دعاء، فالْزَمْ!

إن لمحتَ في نفسك قربًا من الله، قِفْ، واملأْ صدركَ بنفَس مناجاته والوقوف على عتباته!

قل يا ربّ...

اسْكُبْ في روحي زمزم الإجابة، وحَلِّ مَرارة ثِماري!

خذ نصيبك كاملًا من الأُنس والقرب واللَّذَّة، فقد قيل: «إنَّ الله يعاقب مَن فتح له بابًا من الخير فلم ينتهزْه».

اسْتَوفِ حقَّك من الطاعة كاملًا، لتستوفِيَ الأجر.

واقطِف لَذَّة المعنى...

فَمَن يدري؟ لعلَّ العبادة التي تفعلها الآن هي الأخيرة!

لعلَّها تكون مَرْساتَك في البحر اللُّجِّيّ!

لا تفتِّش عن طاعة أخرى، فالأَوْلى الطاعةُ الحاضرة!

وإيَّاك أن تتعلَّق بـ«سوف».

سوف أتصدَّق...

سوف أقوم الليل...

فهذا يعني ضعفًا في الطاعة الحاضرة، وفُتورَ هِمَّةٍ في الطاعة المأمولة، فتبُوءُ بخُسران كلتيهما!

وتأمَّل قول ابن القيِّم: «إنَّ الرجل إذا حضرَت له فرصةُ القُربةِ والطَّاعة، فالحزمُ كلَّ الحزمِ في انتهازِها، والعجزُ في تأخيرِها والتسويفِ بها، فإنَّ العزائم والهِمَمَ قلَّما تثْبُتُ».

لذلك، اجمعْ عزيمتَك في وقتِ العمل.

اغتنِمْ رِيحَك ولَبِّ نِداءَها، فإنْ ذهبَت لم تَعُدْ!

لا تَخُنْ لحظةَ الودِّ بينك وبين ربِّك.

وادْلُ بقلبِك واغتَرِفْ ما شاء اللهُ لك أن

تَغتَرِف.

فإذا عَزَمْتَ على طاعة، فافعلها الآن.

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ٢١﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [المجادلة ١١].

يدهشك الوحي، إذْ يلتفتُ لشأنٍ قد يبدو هامشيًّا صغيرًا!

يدهشك...

إذ يرتِّب الفوضى ويربِّي النفوس على السماحة، ويُبلْسِمُ ما جُرح من المشاعر بِتجاهُلٍ وكِبر!

إنه يكبِّل حُظوظ النفس، ويُذِيب ما عَلِق بها من أدْران!

﴿فَٱفۡسَحُواْ﴾.

آيةٌ تتجاوز الفَسْحَ في المكان، ليكون الفَسْحُ هو عنوانَ العلاقات.

كأنَّ المقصود... توسعةُ القلب للقادم قبل توسعة المكان!

﴿فَٱفۡسَحُواْ﴾.

ولن يَفْسَحَ لإخوانه إلَّا مَن امتلأ قلبُه حبًّا.

ولن يَفْسَحَ في المكان إلَّا مَن كان قلبُه فسيحًا، وخُلُقه لَيِّنًا سَمْحًا، وصدرُه واسعًا، وروحُه شفَّافةً كصفحة نهرٍ تَشِفُّ طِيبةً وإحسانًا.

﴿فَٱفْسَحُواْ﴾.

حتى يَفِيضَ وجهُ المكان بشاشةً وَسُرورا...

وتصيرَ المساءاتُ قصائدَ ومُروجًا.

﴿فَٱفْسَحُواْ يفسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ﴾.

فقد حُقَّ لِمَن وسَّعَ لإخوانه... في طريق، أو في شارع، أو في مجلس...

أن يخضرَّ قلبُه بعد جَدْب...

وتُضاءَ روحُه بعد ظُلمة...

ويتَّسعَ صدرُه بعد ضِيق...

وتَصفُوَ روحُه بعد كَدَر...

ويفيضَ رِزقُه وتورِقَ أفنانُه.

قال رسولُ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم:
«ولَيُوشِكَنَّ أنْ يكونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطَنِ
فَرَسِه مِن الأرضِ حيثُ يَرى منه بيتَ المقْدس،
خيرٌ له مِن الدنيا وما فيها».

إن كان النظر إلى بيت المقْدس يجمع لك الدنيا وأزاهيرَها، فما بالُك بمَن عجَنَ بالدمِ طِينَها؟!

إن سُلِبَت الصلاةُ فيها والرباط...

فإيَّاك أن تُسلَب لَذَّةُ التهيُّؤ والاشتياق!

إيَّاك أن يَبرَد صبرُك.

واغزِلْ حبال الودِّ معها صباحَ مساء، لتبقى عالقةً بالأهداب.

اجعلها قِبلة قلبك...

وصلاةَ دمعك.

انظر إليها...

لا تَغُضَّ الطَّرْف عنها. هي لك، هذا وعد اللّه!

انظر إليها، فرُبَّ نظرةٍ تكفيك المواسم والفصول.

احرُسها بسهام قلبك وصهيل دمك، وإن بَعُدَت المسافات.

وقل يا ربّ...

لقد جعلتَها مِلءَ العين والبصر، وسيِّدةَ القلب، ونَقَشْتَها في الكفّ وعلى أهداب العين، فبلِّلْ شوقي ولا تتركْني أبَلِّل المناديل!

قل يا ربّ...

أحنُّ إليها، فاشهد أني بالقلب أتيت!

وأنِي أُرابِطُ بحبِّي، والمحبُّ يُقبِل ولا يُدْبِر، لا يُدير ظهره، ويبقى عطرُ محبوبته بين يديه!

استفتِ شيخَك...

قل له:

هل عليَّ ذنب إن تقطَّعَت بي الحبال، وبسهام الإخوة رميت...

ولم يبقَ لي سوى حروفي، أَهَشُّ بها على صبري وشوقي؟!

قل يا ربّ...

موجوعٌ أنا بالقدس، والبُعد أثقلَني وهي على

مرمى حجر.

يا ربِّ لا تجعل حظِّي منها بضعةَ حروف.

يا ربِّ...

إني أُدندن بها...

وحين أغنِّي «يا وطني»، فالقدسَ أعني لا غير!

﴿ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾

أستحلفك...

يا مَن قطعتَ حبال الوصل...

وحبستَ حَمَامَ الودّ...

ونَفَرْتَ من أخ وأخت...

وصار دفءُ الأخوَّة... احتراقًا...

وتعطَّلَت لغةُ الكلام...

أستحلفك بحقِّ قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾...

أنْ تُقَطِّبَ الجِراح...

ولا تحرِّكَ ما بَرَدَ مِن جمرٍ في الرماد!

رتِّلْ:

﴿ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾

كن مجيبًا لأمر الله...

وإن أدْمَت فؤادَكَ السهامُ وكان الرَّحِمُ هم الرُّماة!

فأرقى الوصل ما كان لله.

كن كالمطر، يهطل وإن كانت الأرضُ سَبِخَةً مالحة!

صِلْ ما أمر اللهُ به أن يُوصَل...

وغُضَّ الطَّرْف عن الأقاويل وتأويل الكلام!

أجب أمر الله، وتذكَّر:

«وليس الواصِلُ بالمكافئ!».

والصلة مَراتب، تبدأ بالأمِّ ثم الأب، وتنتهي بالمسلمين عامةً.

صِلْ ما أمر اللهُ أن يُوصَل، يَصِلْك.

فهذا زكريَّا عليه السلام، وَصَلَ مريمَ وكَفَلَها، فوَصَلَه اللهُ بالولد، وكَفَلَه بالرزق!

وهذا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، يوصينا بأهل مصر لأنَّ لهم ذِمَّةً ورَحِمًا!

يوصينا بِرَحِمٍ بعيدة، فما بالُك بالرحم القريبة؟!

صِلْ ما أمر اللهُ به أن يُوصَل...

فإذا عمرُك كالياسمين يمتدّ، ويَرْشَحُ عطرًا!

ولا يكن وَصْلُك زينةً وبَهجةً لتتطاوَلَ بين

الناس...

فإذا ما أُذيتَ، قطعتَ كلَّ الحبال!

واسألْ نفسَك:

هل كان وَصْلُك لنفسِك أم لله؟!

لا ترحل... وتقطعْ حبال الوصل.

فأنت... فكرة الإيمان. وخُلُقُ المؤمن لا يتغيَّر مع الظروف والأحداث.

ابقَ...

ففي تعب الوِصال نجاة!

﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾

أمّا الطوفان...

فإني ما زلتُ أَرْقبُه يبحثُ عن مزيد من الغرقى، فحاذِرْ يا بُنيّ!

وأمَّا لهفة الآباء وحرقة قلوبهم على صلاح أبنائهم، فهو ممَّا لا يستطيعون منه فِكَاكًا. هو فرضٌ من الميلاد إلى يوم القيامة، ولو تركوه يومًا لَأَدَّوا الكفَّارة!

يا بُنيّ...

ليس أوجعَ على قلب أبٍ من أن يأخذَ بيد الهَلْكى إلى طريق النجاة، ويتركَ ابنُه يدَه فيَضِلَّ الطريق!

يا بُنيّ...

أنت أجمل انتصارات أبيك، فلو ربح الكلَّ وخسرك، فأيُّ عزاء يكفيه؟!

﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾..

نحن الذين عشِمْنا بأبنائنا خيرًا وتعذَّبنا بِأُبوَّتِنا، سنبقى طَوال العمر نطوف حولكم بالدعاء وبالدموع.

﴿يَـٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾..

ارأف بتجاعيد أبٍ وأمّ... ما كانت تجاعيدهم قدَرًا، بل همًّا وحزنًا أخفَوه على ولد!

﴿يَـٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾..

تذكَّر:

كلُّ أبٍ يحمل قلب نوح.

إن قال لك اركب، فاركب ولا تعاند.

وتذكَّر:

حتى في أشدّ لحَظات الابن مُكابَرةً وجدالًا، ظلَّ قلبُ الأب مفتوحًا، والحبلُ ممدودًا.

ظلَّ يناديه المرَّةَ تلوَ المرَّة، مع اختلاف المنهج والطريق.

فإيَّاك أن تدير ظهرك لدمع أبيك.

إيَّاك أن تخون وُدَّه!

«حسبي الله ونعم الوكيل».

قُلها بِحُرقةِ مَن في يده جمر، حينها تكون في حماية ربِّك.

ردِّدها كأنك تسمع الله.

فقد قالها سيِّدنا إبراهيم في أَحْلَك الأوقات، عندما أَوْقَدوا له نارًا عظيمة، لَهَبُها يتطاول كالجبال.

جاءه جبريل وقال له: «هل لك حاجةٌ يا إبراهيم؟».

قال: «أمَّا منك فلا، وأمَّا من الله فحسبيَ اللهُ ونعمَ الوكيل».

فعندما يشتدُّ الخَطْبُ ويَعْظُمُ القَرْح، وَكِّل الجبار الحكيم.

عندما تعجز، وَكِّل مَن ينوب عنك، ومَن أعظمُ مِن الله الوكيل؟!

إن لم توكِّله، ستبقى تدورُ حول همِّك.

فلا قمحَ تجني، ولا مخرجَ تجد!

وهيهات تجد المخرجَ وهمُّك تنثره على أبواب الغرقى والمقيَّدين مثلك!

اتلُ عجزك وهمَّك في المحراب...

واتَّبع ملَّة التذلُّل والانكسار عند الباب.

وَكِّله، تَصُنْ قلبَك.

وَكِّله، ونَمْ قرير العين.

وَكِّله، ولا تفتِّش بعده، ولا تُسِئ الظنّ.

وكِّله ولا تجمعْ بين الضدَّين التوكيلِ والشكِّ بمعيَّة الله. [المظلَّل مذكور نصًّا في ص٤٥]

أَخرِجْ كلَّ المخلوقين من قلبك...

ولا تلتفت لأحد منهم.

واجعل كلَّ الأسباب بين يديك كأنها لا شيء، والتَفِت لربِّ الأسباب.

حينها تحظى بمعونة الله الخالصة.

وتذكَّر قول جعفر الصادق: «عجبتُ لِمَن خاف كيف لا يَفْزَعُ إلى حسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيل، فهذه الكلمة نفعت جيشًا بأكمله، وكانت النتيجة: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾».

«لا تَكِلْني إلى نفسي طَرْفةَ عين».

يا له من وجع...

أن تكون وحيدًا بلا حبل يربطك بالله!

أن تَرْكَن إلى عقلك، فيَغدِرَك!

أن تكِلَ نفسك إلى نفسك عندما تُسَدُّ الطرق، فتَضِلَّ السبيل!

أن ترى في تدبيرك ما يُغنيك عن تدبير الله، فتقع!

سَلُوا الله في كلِّ أمركم، ولو كان تحريكَ أجفان!

ج

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾

تصلّي على النبي...
فتذبلُ الأحزان...
وتذوب الهموم كما يذوب الملح في كأس ماء.
تصلّي على النبي...
فيُدَثِّرُك معطف حنان، وتبتلُّ عُروقُك الظمأى بألفِ من الدِّلَاء.
صلِّ عليه...
أحببْه بطريقة أخرى...
أحببْه وأعلِن للكون... أنك تسيرُ على خُطاه.
استَسقِ سُنَّته، اجعلها طريقتك في عيش الحياة.
كن بسّامًا... كما كان.
اجعل صباحاتك كصباحاته. تعشَّب بذكر الله.
كن شَفِيقًا مثله، حانِيًا على النساء والأطفال.
كن شِرْيانًا... يصل ما تَقَطَّع من أرحام.

كن قطعة سكَّر... تُحَلِّي ما أصاب المعاني من مَرارات.

كن سهلًا من النخلِ... شامخًا...

يُسعِف الجوَعى ويظلِّل الغرباء.

«اللهمَّ إني أشكو إليك ضَعف قوَّتي وقلةَّ حيلتي».

يُسِرُّ محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم لربِّه... بضعفه وقلَّة حيلته. يشكو إليه وجعه.

فمِن الأوجاع ما لا يبْرَأ إلَّا بمناجاة الله.

ومِن الهمِّ ما لا يَليق أن تبوح به إلَّا للَّطيف الخبير.

ومِن الأمنيات ما لا يُورِقُ إلَّا بِعَصرة القلب.

خُصَّ ربَّك بالبَوح...

فاللهُ «يحبُّ العبدَ... الخفِيّ»...

الذي يحكي لربِّه سرَّه ووجعه.

حينها ستهدأ زَوابِعُ قلبِك...

ويغدو الدمعُ الحارقُ غيمة...

والحُمولةُ الثقيلةُ التي ناءَ بها ظهرُك جدولًا!

ناجِ ربَّك، تنْجُ!

فالمناجاة... نجاة!

والعتَمة مع مناجاة الله نور.

والأقفال فُتوح!

احْكِ له...

إنه يسمع وشوشتك وهمسك...

سرَّك وجهرَك.

ناجِه، ليكون خلاصَك.

كم مرَّةً ذهبتَ إلى أحدهم كظبيٍ شارد...

تشكو همًّا في الأضلاع يسكن؟!

قل لي...

هل استرحتَ وصَفَوت، لمجرَّد أنَّ هناك مَن أنصت لك؟!

ألا تدري بأنَّ المنصت أصمٌّ أبكم؟!

جرِّب أن تشكو همَّك للسميع الذي يدبِّر الأمر بلطفه.

حينها ستُولَد المعجزاتُ كوَردٍ من الصخر أينع!

وإذا سوادُ الدنيا بعينك أزهر!

حينها ستغدو الخسارات لحنًا محبَّبًا!

أَرخِ سُدولَك بينك وبين ربِّك...

فإذا الروحُ في الفردوس... تحلِّق!

﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾

اعتنِ بصورتك عندما تكون وحيدًا... لا يراك إلَّا اللهُ.

فالماء الزُّلال إن أصابه لون أو طعم، فمصيرُه أن يُراق!

وإن كان مبلغُ هِمّك... أن تَشْرَئِبَّ لك الأعناق...

ومدارُ حياتك... أن تستأثر بالنظرات...

إن كان قلقُك... صورتَك في مرآة الناس...

ووزنُك عندهم هو المتن، ووزنُك عند الله الهامش...

فيا حسرةً عليك، فقد مشَيت في مضمار الزَّيف!

لقد خُدعت... إذ أَعلَيتَ مَن لا يستحقّ.

فَمَن لم يُقِم لله وزنًا، فلن يقيم اللهُ له وزنًا.

﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ﴾

فيا لَفداحة أن يكون المنظورُ والمحسوسُ هو مقياسَك!

ويا لَغوايتك... إن لم تجعل اللهَ في حُسبانك!

ما سرُّ الثائر الغَزِّيِّ الذي لا يملك حذاءً؟!

السرُّ في القلب الذي يوقن بموعود الله.

السرُّ في القلب الذي لا يَخُور...

وفي النُّدوب التي تستحيلُ نجومًا!

ثائر حافٍ...

لكنَّ يده تفتِّت الصخر بعزم وإقبال...

وتصافح الموت ولا تصافح الأنذال...

وتصنع من الرمل المقدَّس طوفانًا... تِلوَ طوفان!

ثائر حافٍ...

وحدَه أيقن أنه ما دام يقاتل فهو غالب.

كفر بكلِّ الحسابات الدنيوية والمعطَيات والوقائع.

نصب الشِراك وسَنَّ الرماح، وقفل على الغُزاة الأنفاق!

﴿لَّا مَقطُوعَة وَلَا مَمنُوعَة﴾

سمِّها دنيا، فهي الأدنى في كلِّ شيء.

حتى في ملذَّاتها ومباهجها...

فلَذَّتُها كَدَر.

وكلُّ لَذَّة وبهجة أنت فيها... إمَّا أن تنقطع عنك، وإمَّا أن تنقطع عنها!

إمَّا أن تفارقك، وإمَّا أن تفارقها!

فيا وَيح مَن قدَّمَ الدنيا وبهجتها!

ألم يعلم بأنَّ لكلِّ لَذَّة فأسًا يقطعها؟

ويا لَهناء أهل الجنَّة، فلَذَّاتُهم ﴿لَّا مَقطُوعَة وَلَا مَمنُوعَة﴾.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾

والرَّبطُ هو التَّثبيتُ فلا تشطحُ العقولُ وتخرجُ عن الطَّورِ لهوَلِ المصابِ.

لا تهتزْ وتضطربْ في مواجهةِ الظَّالمينَ .. يا ربُّ .. اربطْ على قُلوبِ المظْلومينَ والمستضعفينَ.. قَوِّهمْ بالسَّكِينةِ.. شُدَّ عَلَى قُلُوبِهِم ليبقى ما فيها من قوَّة..

فالرَّحَى تَطحنُ المخذُولَ والمحْزونَ.

ونخافُ ألَّا يُكْمِلَ الدربا..

يا ربُّ اربطْ على القُلوبِ .. شُدَّ عليها رِباطَكَ .. فَلا يَسيلُ معَ الدَّمِ إيمانٌ ولا يقينٌ!

يا ربُّ..

اربطْ على سَنابلِ الصَّبرِ .. فلا تقطُفُها مناجلُ الشَّكِّ بموعودِ اللهِ..

يا اللهُ..

اسكُبْ سحائِبَ بَردِكَ على أهْلِ غزَّةَ.. أطفئْ اللظَى حَتَّى يطمئنوا لقَدَرِك..

وَأنْتَ أيُّها المحزونُ والمكروبُ..

إنْ اصفرَّ عُشْبُكَ الأخضرُ..

وانمحتْ آثارُ أقدامِ صِغارِكَ..

ولْم تبقَ كَرَكَرةٌ لصَغيرك ولا مَهدٌ..

إنْ فرغتِ الدَّارُ .. وشَاخَتْ رُوحك ولمْ تَجد صَدرًا يَمسَحُ الدَّمْع!

إنْ غدَوتَ في وَسَط المَضائقِ والشَّدائدِ.

وصِرتَ عصيَّ الفهم لما يحدث.

افتحْ قرآنَك.

واتلُ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾

يا مَنْ اسْتَحكمَ الشَّكُّ في قلبه

فَراحَ يردد "تأخرَ النَّصر يا الله"

قِف..

واتلُ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ﴾

لا تبحثْ عَن الْتماعَةِ النَّصرِ في المألوف..

لا تَرْسِمْه في صورة حَسْمٍ عَسكريٍّ أو كُليٍّ..

فَتِّش في قَامُوس النَّصْر..

اقرأْ رَسَائِلَ الله..

أطْلقِ المَعاني مِن قُمُقمِها..

فقدْ سَمَّى اللهُ الإخْراجَ مِن مكَّةَ نَصْرًا، لأنَّ الدعوةَ ستخرجُ من ضِيقِ الملاحَقةِ إلى اتِّسَاعِ العَالم..

وَعدمُ رؤية المُحاصِرينَ لبَيتِ رَسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّمَ لَهُ ساعةَ خُروجِهِ مِن بيته هو نصر بِمعْيارِ الله.

وسَمَّى اللهُ الهِجْرةَ والمُطاردةَ والتَّعَقُّبَ وَالخوفَ الشَّديدَ نصرًا.

ففي كُلِّ عُسْرٍ ثمةَ يُسْرٌ يلوح!

﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ وَحُنُو الغَار المُظلم المُحاصَر على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سمَّاه الله

نصرًا.

نصرًا شَاركَ في صِناعَته حَمَامةٌ بَنَتْ عُشَّهَا وَوَضَعَتْ بيضَهَا.. وَعَنْكَبوتٌ خَاطَ خُيُوطَه في اللحظَة الفَارقَة!!

فطَمْسُ أبْصار الأعداءِ نَصر.

وقَدْ قَال قَصَّاصُ الأثرِ كرز بن علقمة الخزاعي: "هذه قَدَم مُحَمَّد وَهو أشْبه بالموجود في الكَعْبة" أيْ أَشْبَه بأثرِ قَدَمِ إبْراهيمَ عليه السلام، ثُمَّ قال: "وَهَذه قَدَمُ أبِي بَكْرٍ أو قدَمُ ابْنِه، ثُمَّ قال: مَا تجاوزا هذا المكانَ إلا أنْ يكونَا صَعَدا إلى السَّماءِ أو دَخَلا في جوفِ الأرضِ"

وبالرَّغمِ مِن ذلكَ لَمْ يفكروا فِي دُخولِ الغَار!!

فَليسَ للنَّصْرِ وَجهٌ وَاحِد!!

فللنَّصرِ مَعْنًى واسعٌ فلا تضيقْه

وَشاهقٌ فلا تُقَزِّمْه

﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾

يا لِعظمةِ الصُّحبةِ حِين يسمِّيها الله نصرًا..

نصرًا.. يَخيط الجرح.. ويَجعلُ النُّدوب فَجرًا!!

فَالله أرادَ أنْ يعلِّمَنا رؤيةَ النَّصرِ في التَّفاصيلِ الصَّغيرةِ التي تقودُ إلى النَّصرِ الأكبر.

والانتصَاراتُ الصَّغيرَة في اللحظَة الفارقَة تتحول إلى نصرٍ حُلوٍ..

كَما يتحول الحِصرم المُرُّ إلى عُنب حُلو المَذاق!!

وعادة النَّصْر إنْ تَأَخَّرَ .. دَنَا لأَهْونِ الأسْبابِ!!

ثِقْ بموعودِ الله.. واقْرأ الحدَثَ بِلغةِ القُرآن.